مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة
العدد الرابع
1987

- بين داعٍ ومبشّر
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام
- الألمان والقرآن
- بعض علماء النفس يعودون إلى رشدهم
- نصوص أجنبية مترجمة

بين داعٍ ومُبشِّر

شوقي أبوخليل

انتشرت الحضارة الإسلاميَّة ـ ديناً وعلوماً ـ في أواسط إفريقيا ، وأصبحت القارة محاطة بالإسلام إحاطة تكاد تكون تامَّة من الشَّمال والشَّرق والغرب . ومن الثابت أن الحضارة الإسلاميَّة لم تنتشر جنوبي الصَّحراء الكبرىٰ عندما جُرِّد السَّيفُ من غمده ، ولكن حين حلَّ السِّلم وطمأنينته أخذ الإسلام يشقُّ طريقه بثقة وثبات ، بفضل الدُّعاة والتُّجار ، وهذا ما لاحظه توماس أرنولد في كتابه القيِّم « الدَّعوة إلىٰ الإسلام » ، من أنَّ القول بأنَّ الإسلام قد تقدَّم بالسِّلاح أمر ليس فيه إلَّا القليل جداً من الحقيقة ، بل إنَّ الأمر علىٰ عكس ذلك تماماً ، لأنَّ الإسلام قد لاقىٰ

الإنتشار السَّريع بعد أن انتزع الأوروبيون المستَعْمرون السِّلاح من أيدي المسلمين في الشَّرق الإفريقي ، وبعد أن لاقىٰ الإخفاق في فترة حمل السِّلاح .

ويعود فضل انتشار الإسلام جنوبي الصَّحراء ، إلى المسلمين في الشَّمال الإفريقي ، فالمرابطون ، ومن بعدهم الموحِّدون ، كانوا يعلمون أسراهم الإسلامَ بكل لطف وتعقّل في الرباطات ، ثمَّ يرجعونهم مكرَّمين معزَّزين مثقفين إلىٰ بلادهم[1] .

وهكذا . . لم تكن الصحراء الكبرىٰ حاجزاً دون انتقال الحضارة الإسلاميَّة بمظاهرها الدِّينيَّة والفكريَّة إلىٰ أواسط القارة وجنوبها ، ففي مستهل القرن الحادي عشر الميلادي ، بدأ المرابطون فتوحاتهم لنشر الإسلام في السُّودان الغربي ، فدخلت القبائل الوثنيَّة في الإسلام في السنغال ، وحوض نهر النيجر ، فأسلم ملك صُنغاي Songhay زاكاسِّي Za-Kassi سنة 406 هـ/ 1009-1010 م ، وكان إسلامه بمحض اختياره ، وفي منتصف القرن الحادي عشر تقريباً تأسَّست مدينتان على النيجر الأعلىٰ هما : جني Genni وتمبكتو Tombuktu كان لهما أثرٌ قويٌّ في تقدُّم الإسلام في السُّودان الغربي[2] .

ومن أهم القبائل الإفريقية التي اعتنقت الإسلام : الهَوْسَا Hausa ، فنقلت الإسلام أينما وصل أبناؤها في تجارتهم ، ولم يكن التَّاجر المسلم نهماً شرهاً في طلب المال من تجارته الشاقة ، بل كانت أخلاقه وتسامحه وألفته ونظافته وبساطة مظهره ، سبباً للاعجاب به ، ومن ثمَّ اعتناق دينه .

ولما هاجر عرب التَّنجور من جنوبي تونس وغربي ليبيا جنوباً إلى دارفور ، أسَّسوا سلطنة ، فانتشرت المدارس في السُّودان الأوسط ، وعمَّت الطمأنينة ، وحلَّ الإخاء في ربوع المنطقة ، وانتشر الإسلام في إقليم سَنَّار ، حيث تأسَّست مملكة الفونج في السُّودان الشَّرقي . وهاجرت قبائل عربيَّة من منطقتي الخليج وحضرموت ، لتكوِّن سلطنات إسلاميَّة صغيرة على طول السَّاحل الإفريقي الشَّرقي ، مثل : زنجبار وكُلْوَا ، ودار السَّلام ، ومُبَّسَّا . . .

وترجع أسباب سهولة انتشار الإسلام في القارة الإفريقية إلى الأساليب

(1) الدَّعوة إلى الإسلام ، سيرتوماس أرنولد، ص 354 ، الطبعة الثانية ، سنة 1957 .
(2) المرجع السابق ، ص 355 .

السَّلميَّة الَّتي كانت الطابع الغالب ، على حركة انتشـار الإسلام في القـارة ، فحيثما شقَّ الإسلام طريقه ، كان هنـاك التَّاجـر المسلم ، الدَّاعي الصَّـامت ، الَّذي لفت الأنـظار بسموِّه الخلقي والفكـري والرُّوحي ، ففـرض احترامـه ، حتَّىٰ ضمَّت كلُّ قرية في إفريقيا الغربيَّة والوسطى داراً لاستقبال التُّجار المسلمـين ، فتقدم الإسـلام في إفريقيا بسبب بساطته وعقلانيَّته ، والشُّعور بالمساواة المطلقـة دون النَّظر إلىٰ لـون او جنس .

أمَّا في جنوب شرقي آسيا ، فيعد السُّلطان محمود بن سُبُكتِكين Subuktigin [390-416 هـ] ، موطِّد الإسلام في شرقي الهنـد وشماليِّهـا ، كما نشـر أُرنج زيب Aurangzeb ، وتيبـو سلطان Tipe Sultan [1782-1799 م] الإسـلامَ في هضبـة الدَّكن . أما في جنوب الهند ، فقـد كان التجـار المسلمون سـادة التجارة في المحيط الهندي ، قبل أن تظهر السُّفن البـرتغاليّـة في البحار الهنـديَّة . لقـد دخل الإسـلام جنوبي الهند منذ أواخر القرن العاشر الميلادي ، ومن منطقة مليبـار ـ جنوبي الهنـد ـ عبـر الإسلامُ إلى جـزر كلديف وملديف ، ويدين سكـان هذه الجـزر بدخـولهم في الإسلام إلىٰ التجار الدعاة العرب .

ولاقىٰ التجـار أعظم نجـاحٍ في البنغال ، وعـلى اثر إسـلام المغـول عـلى يـد الـدُّعاة ، والـدُّعـاة ليس غـير ، تمَّت هجـرة واسعـة النِّطاق إلى الصِّـين ، ولاحظ الـرَّحـالـة مـاركـو بـولـو Marco Polo ، الَّـذي مكث في الصـين مـا بـين [1275-1292 م] ، وجودَ المسلمين في جهات شتّى من مقاطعة يُونَّـان ، وفي عهد أُسـرة منج قُدِّمت امتيازات كثيرة لهم ، وتدل كثرة المساجـد الَّتي بُنيت على انتعـاشهم في عهد هذه الأسرة .

كما أسَّس التُّجارُ الدُّعاة بعض المراكز التجاريَّة في أرخبيل الملايو، ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ، ومن هذه المراكز انتشر الإسلام في الملايو ، والهند الصِّينية ، وسيام ، وجزر الهند الشرقيَّة « أندونيسية » . . مستخدمين كـل ما لـديهم من فطنة وذكاء وأمانة وأُلفة ، وفكر ناضج خلال تجارتهم .

وكانت الهند مصدر الإسلام إلى سومطرة ، وكان شرف أوَّل دعوة في مدينة أتجيه Atjeh شمال غربي سومطرة يَرْجع إلى عبد الله العارف ، ووصل الإسلام جزيرة جاوة حيث حلَّت السُّلطة الإسلاميَّة محل السِّيادة الهندوكيَّة في جاوة الشرقيَّة

سنة 1478 م ، ومن سومطرة والملايو انتشر الإسلام إلى جزر سيلبس والفيليبين ، وجزر سولو ، وإلى غينيا الجديدة[3] .

أمَّا في أواسط آسيا وسيبـرية فقد كان بركة خان [1256-1267 م] أوَّل من أسلم من أمراء المغول ، وكان رئيساً للقبيلة الذَّهبيَّة الَّتي كانت تنزل في السَّهل الَّذي يرويه نهر الفولجا ، وكانت حاضرتها مدينة سيرية Serai ، وكان إسلامه على يد تاجرين مسلمين من بخارىٰ .

وكانت المفاجأة إسلام نيكودار نيقولا [1282-1284 م] ، الَّذي اعتلىٰ العرش بعد أخيه هلاكو ، ثم أسلم غازان [1295-1304 م] ، الَّذي شبَّ على البوذيَّة ، ولما أسلم تغلق تيمور خان ـ ملك كاشغر ـ على يد جماعة من التُّجار . أصبح الإسلام منذ ذلك الوقت دين القبائل المغولية ، وانتشر حتَّىٰ شمل سيبرية كلها تقريباً في عهد كوتشم خان [1570 م] ، ولا شكّ أن ذلك النجاح الملحوظ في انتشار الإسلام في هذه المناطق مردُّه إلىٰ المستوى الأخلاقي الرَّفيع ، الَّذي امتاز به الدَّاعي المسلم آنذاك ، وإلى الشُّعور بالتَّآخي الحقِّ مع المسلمين المغول الجدد ، وإلى حكمة التجار الدعاة وإخلاصهم .

لقد استطاع التجار المسلمون بالنُّصح والإقناع ، والكلمة الطيِّبة ، والقدوة المثاليَّة ، أن يحققوا نجاحاً رائعاً في إيصـال الإسلام إلى أواسط إفريقيا وغربيِّها وشرقيِّها ، وإلى شرقي وجنوب شرقي آسيا . لقد كسبوا النَّاس . وعرفوا بدقَّة سبيل الوصول إلى قلوبهم ، بتعلُّم لغتهم ، ومراعاة عاداتهم وتقاليدهم ، وبدلاً من أن يعتزلوا الأهالي ، امتزجوا شيئاً فشيئاً بعامَّة الشَّعب ، مع شروح حاذقة . كانوا يرونها مناسبة لتقريب عقيدتهم من أذهان الشُّعوب ، وكما يقول المؤرِّخ الأوربي Buckle : « وكان دعاة المسلمين علىٰ جانب عظيم من الحكمة والرَّويَّة » .

* * *

ولئن فشلت الحروب الصَّليبيَّة في الشَّرق ، وعاد لويس التَّاسع ـ قائد الحملة الصَّليبيَّة السَّابعة ـ خائباً من مدينة دمياط في 8 أيار 1250 م ، ليصل مدينة عكا في 13 منه ، فقد كانت صيحته بعد هزيمته : « لنبدأ حرب الكلمة ، فهي وحدها القادرة على تمكُّننا من هزيمة المسلمين » ، ويمكننا القول إنَّ التبشير هذه بوادره ،

(3) المرجع السَّابق، ص 404.

«التبشير» اصطلاحاً، «أي الجهود المنظَّمة المدعومة من قبل حكومات، التي هَيّأت لإرساليات تنشر ديانتها بين الشُعوب التي لا تدين بها ، وأُطلق التبشير على الإرساليات المسيحيَّة خاصَّة ، ويقابله في المنظور الإسلامي مصطلح « الدعـوة»[4].

ومن أسباب التبشير خارج القارَّة الأُوربيَّة إفلاس المبشِّرين داخلها ، ولو كان هدفهم نشر المسيحيَّة ، لكان المجال الأجدر بنشاطهم هو الأجيال الأُوربيَّة الَّتي ابتعدت عن المسيحيَّة ، ودليل ذلك سؤال الأستاذ « جُود » رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن لعشرين طالباً من الجنسيـن : مَنْ منهم مسيحـي حقيقي ؟ فكان الرَّدُّ كما يلي : ثلاثة بالإيجاب ، وسبعة لم يفكروا بالأمر ، وعشرة معادون للمسيحيَّة .

إن إرسال المبشِّرين بين المسلمين أمر ثانوي إن كان الهدف نشر المسيحيَّة ، فعالمهم الغربي عالم لا يعرف للرُّوح وزناً ، فاليسوعيون خصوم فرنسا في الداخل ، أصدقاء حميمون في مستعمراتها ، وإيطاليا الَّتي حجزت البابا وطوَّقته في الفاتيكان ، تبنَّت سياستها الاستعمارية جهودَ المبشِّرين .

وفي جنوب شرقي آسيا ، ركَّزت هولندة جهودها التَّبشيريَّة ، ثمَّ جاءت ارسـاليات من انكلتـرا والمانيـا والسُّويـد وسويسـرا[5]. أمَّا في إفـريقيا فقـد بـدأت الارساليات منذ القرن الخامس عشر على يد الكاثوليك ، ودخلت إرساليات البروتستانت حوض الكونغو سنة 1804 م ، وتحالفوا مع الأقباط سنة 1819 م ليشكِّلوا جمعيَّة غايتها تنصير شمالي إفريقيا كله .

* * *

وعلى أطراف غابة في أواسط إفريقيا التقى داع مسلم . بمبشِّرٍ صليبي ، فنظر الدَّاعي المسلم إلى المبشِّر نظرة شفقة وعتاب واستغراب ، ونظر المبشِّر إلى الدَّاعي نظرة كِبْر واستخفاف وحقد .

وسأل الدَّاعي المبشِّرَ : ما الَّذي جاء بك إلى هذه الأصقاع ؟ !

---

(4) التَّعريف من « مذكرة التَّبشير » للأستاذ محمد فتح الله الزيادي (كلية الدَّعوة الإسلاميَّة) .
(5) انظر لبدء الإرساليات مع بدء الكشوف الجغرافية كتاب : « في طلب التَّوابل » سـونيا . ي . هـاو ، سلسلة 1000 كتاب ، نهضة مصر ومطبعتها ، سنة 1957 .

المبشِّر مجيباً : السَّبب الَّذي جاء بك إليها .

الدَّاعي : أنا جئت تاجراً بقرش حلال ، وهذه بلدي وداري ، أنا إفريقي ، أسكن السُّودان الأوسط ، أنا من أفراد قبيلة « الهَوْسا » ، ما الَّذي جاء بك ، فأنا أرى الحقد والتَّعصُّب يترشَّحان من بين عينيك ، وفي لهجتك ، وحركاتك ، وانفعالاتك .

المبشِّر : أنا جئت من أوربا ، جئت لتنصيركم ، فلن يدخل ملكوت السَّماء من لم يؤمن بيسوع المخلِّص ، جئت أُقدِّم عوناً غذائياً وصحيًّاً وتعليمياً .

الدَّاعي : إنَّني أعلم ما يدور في خلدك ، وخلد من أرسلك ، لقد قررتم في مؤتمراتكم التَّبشيريَّة ، وخصوصاً مؤتمر « لوكناو » ، الَّذي انعقد في الهند سنة 1911 م ، برعاية البابا ، ورئاسة صموئيل زويمر ، تحت شعار ، اللَّهم يا مَنْ يسجد لك العالم الإسلامي خمس مرَّات في اليوم بخشوع ، انظر بشفقةٍ إلى الشُّعوب الإسلاميَّة ، وألهمها بالخلاص بيسوع المسيح . لقد قرَّرتم التركيز على القارة الإفريقيَّة ، وزيادة الأعمال التَّبشيريَّة فيها .

المبشِّر : لا ، أبداً ، أنا جئتُ أُقدِّم هدايا يسوع إلى المحرومين .

الدَّاعي : لقد جئتَ بغزوٍ فكري متمِّماً لغزوكم العسكري ، لتبقى الشُّعوب خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها ، ولصرفنا عن ديننا ، وما يترتَّب على هذا الصَّرف من ضياع .

المبشِّر : أيُّ غزو فكري تتحدَّث عنه ؟!

الدَّاعي : أتحدَّث عن غزوكم الفكري ، الَّذي يستهدف الجذور لا القشور ، ويحاول القضاء على الجوهر لا العَرَض ، ويشوِّه الأُصول لا الفروع ، لتصلوا إلى استعباد الشعوب ، وامتصاص خيراتها .

المبشِّر : أنت تدعو إلى دين ، وأنا أبشِّر بدين ، فما الفرق بيننا ؟ !

الدَّاعي : الفروق عشرة ، اسمعها منِّي ، يا مَنْ جئتَ بهدايا يسوع المسيح إلينا . **أولاها** : أنَّك أداة استعماريَّة ، سياسيَّة واقتصاديَّة ، فمنذ كشوفاتكم الجغرافيَّة جاءت جموعكم ووراءها دول تريد استعمار الشُّعوب ، وهذا ما فعله البرتغاليون والإسبان ، والانكليز والفرنسيون والطليان . . أنسيتَ القنص

الآدمي ، وبيع الرَّقيق في أُوربا وأمـريكـا بأثمانٍ باهظة ؟! أنسيتَ يوم كان الأُوربيون الَّذين أرسلوك يصطادون الإفريقيين العُزَّل من قراهم المحاطة بالأدغال ، بإشعال النَّار في الهشيم الَّذي صُنِعت منه الحظائر المحيطة بالقرىٰ ، حتَّىٰ إذا نفر أهلُ القرية إلى الخلاء ، تصيَّدهم الأُوربيون بما أعدوا لهم من الوسائل ؟

أنسيت ـ أيها المبشِّر ـ أن قسماً كان يموت أثناء القنص الآدمي في الرِّحلة إلى الشاطىء الَّذي ترسو عليه مراكب الشركات الانكليزيَّة وغيرها ، وكان ثلث الباقين يموت بسبب تغير المناخ ، ويموت في أثناء الشَّحن قرابة 10% ، أمَّا من كان يموت في المستعمرات فلا حصر له ، فمستعمرة جامايكا البريطانية وحدها ، دخلها عام 1820 م ما لا يقل عن ثمانمائة ألف رقيق إفريقي ، ولم يبق في تلك السَّنة منهم سوى ثلاثمائة وأربعين ألفاً ، لقد كانت نسبة القنص الآدمي واحد إلى ثمانية ، أي : كي يتمكَّن الأوربي من استرقاق رجل ، يقتل ثمانيةً ، لكونهم يدافعون عن أنفسهم في مهدهم الأوَّل[6].

ومن مفارقاتكم الطَّريفة ، أن الملكة أليزابيت الأُولىٰ : [1558-1603 م] كانت تشارك في الاتجار بالرَّقيق ، وكانت شريكة لجون هوكنز ـ السِّيرجون هوكنز ـ أعظم نخاس في التَّاريخ ، وقد رفعته إلى مرتبة النُّبلاء ، إعجاباً ببطولته ، وجعلت شعاره رقيقاً يرفل في السَّلاسل والقيود ، وكانت السَّفينة الَّتي أعدَّتها له تسمَّىٰ « يسوع » ، وكان عدد السُّفن المخصَّصة للاتِّجار بالرقيق 192 سفينة ، تتَّسع حمولتها في الرِّحلة الواحدة : 47,146 رقيقاً[7]!!

· المبشِّر : وأنتَ أيُّها الدَّاعي ؟

الدَّاعي : أنا هنا بجهودي الذَّاتيَّة ، لا أُريد كسباً دنيوياً من دعوتي ، فعندما أدعو إلى الإسلام ، يعني ذلك أنني أدعو إلى المساواة والإخاء والعدل والطمأنينة للناس كلِّهم ، كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وشتان بين المأجور المستغل ، وبين مَنْ سعادته في تقبُّل الله عزَّ وجلَّ لعمله .

ثانياً : أنتَ أيُّها المبشِّر تستغل آلام النَّاس هنا لسلب حرِّيَّة اعتقادهم ، إن

(6) دائرة المعارف البريطانية ، مادة SLAVERY.

(7) حقوق الإنسان لمحمد الغزالي ، ص 127 ، المكتبة التجارية .

هدية يسوع إن قُدِّمت ، فهي حيلة للتبشير ، تستغل آلام البشر ، فمعادلتكم معروفة : حيث وجد بشر وجدت الآلام ، وحيثما وجدت الآلام وجدت الحاجة إلى الطب ، وحيثما وجدت الحاجة إلى الطب وجد التبشير ، فلن ينصرف مريض من مستوصفاتكم إلاَّ ومعه نسخة جيدة الطَّبع من الإنجيل ، مع وصفة علاجيَّة خاطئة لن تشفيه ، ليتكشَّف أن الإيمان بالإنجيل دواؤه وشفاؤه ، وليس دواء آخر غيره[8] .

المبشِّر : ولكن لنا مدارس للتَّعليم ، لنشر العلم والمعرفة !!

الدَّاعي : التَّعليم في مدارسكم واسطة لا غاية ، فقولكم : « إن الشَّجرة لا بدَّ أن يقطعها أحد أعضائها»[9] معروف، تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ، أما قال المبشِّر « المردوغلاس » في الجزائر ـ البلد المسلم ـ : « إنَّ هذه السُّبل لا تجعل الأطفال نصارىٰ ، ولكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم » ، فأنتم تعلمون أن تنصير المسلمين أمر صعب ، والبديل (التَّغريب) ، إن مدارسكم حملت مهمة إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له باللَّه ، وبالتالي لا صلة تربطه بالقيم الَّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها لبقائها ، وبذلك أنتم ـ بعملكم هذا ـ طليعة الاحتلال الاستعماري في البلدان الإسلاميَّة ، فأينما حللتم ، حل أعداء الإنسانية الثلاثة : الفقر والجهل والمرض ، وتاريخكم الاستعماري خير شاهد صادق .

المبشِّر : وأنت ؟ !

الدَّاعي : أنا سلوكي دعوة ، ومعاملتي الصَّادقة دعوة ، لا أُريد من ورائهما مكسباً ماديّاً ، وأينما وصلت فتوحاتنا الإسلاميَّة ، بنيت المدارس ، ولما كان طلب العلم فريضة من المهد إلى اللحد سطعت في سماء العلوم كلها أسماءُ علماء كبار من أبناء البلاد التي فتحت ، كابن سينا ، والخوارزمي ، والبيروني ، والفارابي ، والغزالي ، والبوزنجاني . . . .

---

(8) التبشير والاستعمار ، د. خالدي ، د. فروخ ، فصل « التَّطبيب حيلة للتبشير » ، ص 58 وما بعدها .

(9) من مقرَّرات مؤتمر التبشير المنعقد في القاهرة سنة 1906م ، « الغارة على العالم الإسلامي » ص 24و 32.

المبشِّر : وثالثاً ؟

الدَّاعي : ثالثاً ، أنتَ تخاطب العاطفة ، ولا تخاطب العقل والمنطق والعلم ، تخاطب الناس بأسرار ، وتخاطب جوعهم ، ومرضهم ، وحاجاتهم الماديَّة ، وإن سألوك قائلين : كيف نؤمن أن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ؟

قلت : هـذه أسرار ، وبولس الرَّسـل ، عنصـر خـطير في حيـاة المسيحيَّـة ، فهـو يهودي اندسَّ في المسيحية ، فهو يصرخ قائلاً « أنا فريسي ابن فريسي » ، [الإصحاح 23] ، ثمَّ يصرح : « أنا رجل يهودي » [الإصحاح 22 ـ أعمال] .

وزميله لوقا يتَّهمه بأنَّه أفتك أعداء الديانة المسيحية الَّذي يفشي القتل في تلاميذ الرَّب [الاصحاح 9 ـ أعمال] ، وفي الاصحاح ذاته ، يحكي لوقا رواية غير مقبولة تقول إن بولس انقلب فجأة ، وفي لحظة واحدة ، من موقف العدو الألد الفتَّاك المخيف ، إلى مرتبة القديس ، وذلك حينما كان على مشارف دمشق .

التوحيد أساس دينكم وجوهره ، والوثنيَّة طارئة ، فكيف يصلب الإلـه؟ كيف تلده أُمٌّ بلا زواج ؟ كيف أصبح الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ؟ !

أما أنا فأُخاطب العقل الواعي ، المثقَّف العالم بقولي الصريح : الله هو قيُّوم السَّماوات والأرض ، ليس كمثله شيء ، ﴿ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، عقيدة واضحة بسيطة ، تخاطب الفكر الناضج دون مواربة .

أمَّا **النقطة الرابعـة فهي** : مجال عملكم ـ أيها المبشِّر ـ في المناطق الفقيرة ، حيث أعداء الإنسان : الجهل والمرض والفقر ، هناك ترتع ، وهناك مجال إنتاجك الخصيب .

المبشِّر : وأنت ؟

الدَّاعي : مجال الإسلام مع كبار العلماء ، وعلية القوم ، مجال الإسلام مع المفكِّرين النَّاضجين ، أمثال : رجاء « روجيه » غارودي ، والدكتور موريس بوكاي ، مع يوسف إسلام « كات استيفنس » ، مع إتيان دينيه ، مع اللورد هيدلي الذي كان لإسلامه ضجة كبيرة لمركزه الاجتماعي ، مجالنا مع الفيلسوف

---

(10) أوربا والإسلام ، د. عبد الحليم محمود .

رينييه جينو ، الَّذي أسلم لأنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الَّذي لم ينله التَّحريف أو التَّبديل ، مع الدكتور جرينييه الَّذي قال : أسلمت لأنني تيقَّنت أن محمداً ﷺ أتى بالحقِّ الصراح من قبل ألف سنة[10].

المبشِّر : خامساً ؟

الدَّاعي : أنتَ تقول « لا خلاص للنَّاس إلَّا بالمسيح المصلوب » ، ولن يدخل ملكوت السَّماء من لم يؤمن بالإله المصلوب ، وأنا لا يضرني من بقي على دينه ، ولا أعاديه ، ولا يسمح لي ديني أن أزدريه ، أو أن احتقره ، ما عليَّ إلا البلاغ ، فالخلق كلُّهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ، ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، لذلك عاش غير المسلم في ظل الخلافة الإسلاميَّة بأمان وطمأنينة ، وما وقف في طريقه إلى مكان عبادته مسلمٌ ، أما أنتم ، فما فعلتموه في إسبانيا وصقلية ، وخلال الحروب الصَّليبيَّة معلوم ومفهوم للناس كافة .

المبشِّر : وماذا بعد؟

الدَّاعي : سادساً : وراءك دول تدعمك لا تؤمن بدين ، ولا مكانة للروح في حساباتها ، إنها دول علمانيَّة ، تدعم المبشِّرين في إفريقيا وآسيا ، والكنائس إما مغلقة ، وإما فارغة عندها ، فكيف ذلك ؟ أليس الهدف من وجودكم هنا إذن : خيرات الشعوب ، وعداء الإسلام الصَّريح ، وإفلاسكم في بلدانكم .

المبشِّر : وأنت ؟

الدَّاعي : أنا ورائي يقيني بعظمة ديني ، وطاقتي مستمدَّة من طمأنينتي إلى كتاب الله عز وجل .

وسابعاً : إنَّك تعتمد الكذب ، والدَّجل لتشويه شريعة الآخرين ، وهذا في علم النفس « إسقاط » ، وفي أمثلة العرب : « رمتني بدائها وانسَلَّت » ، فكذبكم على الإسلام والقرآن والنبي كثير كثير . والبحث العلمي الموضوعي ما عاد يصدِّقكم في ادعاءاتكم : « القرآن من تأليف محمَّد »[11] ، أو « من تأليف الرَّاهب بِحَيرىٰ أعطاه محمَّداً أثناء وجوده في بلاد الشَّام »[12] ، أو « علَّمه ورقةُ بن نوفل

(11) تاريخ الدولة العربيَّة ، يوليوس فلهاوزن ، ص 8، و :
The readers Companion to World Literature, By Hornstein, Presy, Brown, P298.

(12) تاريخ العرب العام . ل. أ. سيديو ، ص 58.

مـزيجاً من معـارف وآراء دينيَّـة استقـاهـا من تـوراة اليهـود ، ومن أنـاجيـل النَّصارى . . .[13]»، وما عـاد أحد يلتفت إلى كـذبكم : « من الثابت أن الإسـلام لم يكن يصـادف نجاحـاً إلَّا عندمـا كان يهـدف إلى الغزو »[14] ، و« الإسـلام حارب العلم »[15]، و« ظلم المرأة » ، و« أن الكعبة من الطقوس الوثنية »[16].

ورغم هذا الهجوم والافتراء ، عندنا من سعة الصدر ما يتَّسع لردِّ الهجوم بحكمة ، ودفع الافتراء بتعقُّل ، ونذكِّر المبشِّرين الذين « أسقطوا » علينا ما فيهم ، وما عندهم ، أنَّ مجمع نيقية سنة 325 م أمر بتحريف الكتب الَّتي تخالف رأيه ، وتتبَّعها في كل مكان ، وحثَّ النَّاس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا منع أن يصل النَّاس إلى علم بأي أمر من الأمور الَّتي تخالف رأيه ، والمجمع مخطىء في ذلك التَّحريم ، وآثم في ذلك التَّحريف ، بل إن المجامع العامَّة من بعده خطَّأته ، فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرَّمها.

يقول الإمام محمد أبو زهرة في كتابه « محاضرات في النصرانية » : يقول المؤرخ أبـوسيبـوس الَّذي تقدَّس كلامه الكنيسةُ ، وتسميه سلطان المؤرخين : « إن قسطنطين عُمِّد حين كان أسير الفراش ، وأن الَّذي عمَّده هو ذلك المؤرِّخ نفسه » ، والتَّعميد إعلان دخول المسيحيَّة ، إذن قسطنطين ما كان مسيحياً في إبَّان انعقاد ذلك المجمع ، وما كان من حقِّه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول إنَّه كان في هذا أرب خاص ، هو تقريب المسيحيَّة من الوثنيَّة ، أو على الأقل عندما رجَّح رأيَ فريق على فريق كان يرجِّح ما هو أقرب إلى وثنيَّته .

ويذكر ابن البطريق أن أُوسابيوس أُسقف نيقومدية كان موحِّداً من مناصري أريوس ، وأراد أن يقترب من قسطنطين ، فأظهر أنَّه وافق على مجمع نيقية ، فأزال عنه قسطنطين اللعنـة ، وجعله بطريرك القسطنطينيَّة ، فما أن ولي هذه الولاية حتَّى صار يعمل للوحدانيَّة في الخفاء ، فلما اجتمع المجمـع في مدينة صور ، وحضره هو وبطريرك الاسكندريَّة الَّذي كان يمثِّل فكرة الوهيَّة المسيح ويدعو إليها ، وينفرد من

---

(13) كما يدّعي كتاب « قس ونبي » المنسوب إلى أبي موسى الحريري .

(14) فردريك دنيسون موريس في :

The Religions of the World, P.28 «Cambridge» 1852.

(15) القول للفرنسي أرنست رينان في كتابه « الإسلام والعلم ».

(16) تاريخ الشعوب الإسلاميَّة ، كارل بروكلمان، ص 25و 76.

بين البطاركة في المبالغة في الدَّعوة إليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها ، انتهز أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع ، وأثار مقالة أريوس ، ورأيه في المسيح ، وإنكار ألوهيَّته ، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحِّدين المستمسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم ، كما فعلوا في المجمع العام بنيقية ، واشتدَّ النقاش بين رئيس الكنيسة الاسكندريَّة وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولي ، بل امتدت الأيدي إلى بطريرك الاسكندريَّة ، وعمدت إلى رأسه لإخراج الوثنيَّة منه ، فضربوه حتَّى أدموه ، وكادوا أن يقتلوه ، لم يخلِّصه من أيديهم إلَّا ابن أخت الملك ، الَّذي كان حاضراً ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرَّمه . فقسطنطين الوثني ، هو الذي رسَّخ التثليث ودعَّمه على حساب التوحيد .

المبشِّر : نؤمن بالتثليث وندعو إليه رغم كل ما قلت ، فما قلتَهُ نعرفه تماماً .

الدَّاعي : **ثامناً** : تحت تصرفكم إمكانات ماديَّة غير محدودة ، وأنا لا أملك إلا حجتي ومنطقي العقلاني العلمي ، لا أسرار ولا تناقضات ، وما الامكانات الماديَّة التي بين أيديكم إلا لأن حجتكم هشَّة ، ومنطقكم ملتوٍ .

تاسعاً : وأنتَ تعتمد تحقير الإسلام وأهله ، وتصمهم بأنهم أعداء المدنيَّة والحضارة .

المبشِّر : وأنتَ ؟

الدَّاعي : إسلامنا يوجب علينا الإيمان بعيسى بن مريم (عليه الصلاة والسَّلام) نبيّاً مرسلاً ، وبأنَّ أمَّه صِدِّيقة ، هذا ما يفرضه عليَّ ديني ، وهو نفسه يمنعنا من أن نقول في عيسى وفي أمِّه ما يقوله اليهود !!

إنَّك تحاول تحقير الآخرين لتسمو وترتفع ، وأنا لا يهمني تنقيص الآخرين لأسمو وارتفع ، فالإسلام سامق شاهق دون تحقير أحد ، وفي النهاية ستجد أوربة فيه حلاً لمشكلاتها التي أغرقتها بالماديَّة .

وأخيراً « **عاشراً** » : أراكم تتلوَّنون وتتبدَّلون حسب مناطق التبشير ، حتَّى اعتبرتم تعدد الزوجات في إفريقيا أمراً مسموحاً به ، واحتقرتموه وهاجمتموه في أصقاع أخرى ، وأنا لا أملك التبديل أو التغيير ، ولا يملكه غيري ، وفضائحكم الجنسية معروفة ومعلومة . .

قاطع المبشِّر الداعي ، ولملم قلنسوته وصليبه وثيابه ، ومضى يشتم الدُّعاة والإسلام ونبيَّ الإسلام . . فقال الدَّاعي : ديني وخلقي لا يسمحان لي أن اشتمك وأشتم ما تعتقد ، ولكني أقول لك : الصَّحوة الإسلاميَّة بدأت ، و« محمَّد يتهيَّأ للعودة » .

قام الدَّاعي لشؤونه ، ومضىٰ وهو يتساءَل في نفسه :

وماذا يضير هؤلاء المبشِّرين في انتشار عقيدة الإسلام على سطح الكرة الأرضيَّة ، وقد طرحت مبدأ المآخاة والتَّسامح ، ولم تجعلها شعاراً ، بل منهجاً أثبتته الوقائع والأعمال في كل بلد فتحه المسلمون ؟

لقد كان من المفروض أن يطبع النَّصارى القرآن الكريم مع إنجيلهم ، طبعوا التوراة ، وهي الَّتي لم تذكر السَّيِّد المسيح وأُمَّهُ ولو مرَّة واحدة ، أمَّا القرآن ، ففيه الكثير عن حياة مريم والمسيح .

ينكر المبشِّرون على الإسلام ونبيِّه كُلَّ صواب ، وكلَّ فضل ، وكلَّ جديد ، ويريدون أن يثبتوا لأتباعهم قبل أن يدرسوا الإسلام ويعجبوا به ويعتنقوه ، أنَّه مزيج متنافر بين اليهوديَّة والمسيحيَّة والوثنيَّة ، وخطؤهم كامِنٌ في حقدهم الَّذي أوصلهم إلى قِصَر النظر ، فمن الغريب ألَّا نجد شيئاً مشتركاً بين الدِّيانات السَّماويَّة ، لقد جاء موسىٰ متأخِّراً عن إبراهيم فآمن به ، وجاء عيسى متأخِّراً عنهما ، فآمن بإبراهيم وموسىٰ ، وجاء محمد ﷺ بعدهم ، فآمن بإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ، عليهم أفضل الصَّلوات والتَّسليم .

قال رجاء غارودي : «لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة، حتَّى في الجامعات الغربيَّة ، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف » .

ولذلك ألَّف الكاتب البريطاني « جان دوانبورت » كتاباً عنوانه : « اعتذار لمحمَّد والقرآن » ، اعتذر فيه مؤلِّفه عن التَّصورات والأحكام الَّتي كانت شائعة في الغرب حول نبيِّنا والقرآن .

المرحلة القادمة مع إشرافنا على نهاية القرن العشرين ، مرحلة الانتفاع من الخير أينما وُجِد ، وخصوصاً بعد أن أقرَّت الفاتيكان بالإسلام ديناً سماوياً في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، والوثائق المجمعية المطبوعة بالعربية ، الطبعة

الثانية ، سنة 1984 م ، صفحة 863 ذكرت الديانة الإسلاميَّة قبل الديانة اليهوديَّة ، وجاء فيها حرفياً : « وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضاً إلى المسلمين ، الَّذين يعبدون الإله الواحد ، الحيَّ القيوم الرَّحيم ، الضابط الكل ، خالق السَّماء والأرض » ، وفي الصفحة 864 : « وإذا كانت قد نشأت على مرِّ القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين ، فالمجمع المقدَّس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي ، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل » .

فنرجو ألَّا يكون الكلام حسناً ، والفعل قبيحاً .

وإلا فمثالنا مع افتراءات المبشِّرين كما يلي :

كان أعمى وأصَمُّ يشربان الخمر على طرف نهر ، فلما لعبت الخمرة في رأسيهما ، قال الأعمى : إنَّني أرى على طرف النهر الآخر شجرة ، وأرى النَّمل يسير على جذعها وأغصانها ، فقال الأصمُّ : أنا لا أرى النمل ، بل أسمع دبيب أقدامها على الشَّجرة .

فماذا نتوقَّع أن يقول عنهما إنسانٌ على الضِّفة الأُخرى للنهر ، سَوِيٌّ ، سليمُ الحواس ، سمع ما قالا ؟!

* * *